البنية الأسلوبية في نص (الدهر إن سر يوما لاقوام له) للأحوص الأنصاري

د .ممدوح الحربي
كلية التربية والأداب- جامعة تبوك

المستخلص

يقوم البحث على تقصي البنى الأسلوبية والبلاغية التي تكتنز في شعر الأحوص الأنصاري، في قصيدته هذه تحديدا " الدهر إن سر يوما لاقوام له " والتي شكلت شاعرية الأحوص وجعلته المقدم في شعر الغزل والنسيب جعله ابن سلام الجمحي في طبقة الشعراء ؛ جميل ونصيب وابن قيس الرقيات ، وكان كثير التشبيب بالنساء ، والوصف ، لذا جاء الاختيار على أساس ماعرف به وهو اهتمامه بموضوع الغزل ، وذيوع شعره على لسان المغنيات ، وماحوته هذه القصيدة من أساليب متنوعة جعلت البحث في بنيتها هو الأساس .

الكلمات الدلالية : بنية ، أسلوبية ، بلاغية ، غزل

Abstract

The research investigates the Stylistic and Plagiaristic structures that are embedded in the poetry of Al-Ansari Al-Ansari, in his poem, "The Age is the Secret of His Days," which formed the poetic poetess, And there was a lot of femininity and description, so the choice came on the basis of what is known about his interest in the subject of spinning, and the verses of his poetry on the tongue of the Divas, and Mahouth this poem of various methods made research .in its structure is the basis

Key words: structure, stylistic, rhetorical, yarn

(الدهرُ إن سرَّ يوماً لا قوامَ له)

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

يستنزلُ الطيرَ كرهًا من منازلها

ويسلُبُ الآمنَ المغترَّ نعمتَهُ

من يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

يهوى الخلودَ ، وقد خُطَّت منيَّتُهُ

لا بد أن المنايا سوف تدركه

أين ابن حرب وقومٌ لا أحسهمُ

يجبون ما الصينُ تحويه مقانبُهُم

بادوا وآثارُهم في الأرضِ باقيةٌ

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

إلى المنيةِ والآسادِ في الأَجَمِ

ويُلحِقُ الموتَ بالهيّابةِ البَرَمِ

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلدَ من عادٍ ومن إرَمِ

ولا مرَدَّ لأمر خُطَّ بالقلمِ

ومن يعمر فلن ينجو من الهَرَمِ

كانوا قريبا علينا من بني الحَكَمِ

إلى الأفاريقِ من فُصحٍ ومن عَجَمِ

تلكم معالمهم في الناس لم تَرِمِ

سنتكلمُ في الجانب الأول في هذه القصيدة عن الجانب الأسلوبي الذي وُجدَ بشكل متفاوت في النص الشعري المدروس أعلاه، ولا بدَّ من إحصاء تلك الجوانب الأسلوبية التي كانت زاجَّةً باللبنية الشعرية إلى مصاف الفكر المتلقي عند القارئ. ومن ثم فإننا سنتلكم فيها عن بعض الرتوش البلاغية التي وُجدت في النص، والتي حاولنا جهدنا أن تكون القصيدة المختارة محاولة أن تكون ضامة ما نبتغي البحث عنه مما درسنا في الفصلين الأول والثاني من دراستنا.

تكتنز القصيدة الآنفة الذكر بالعديد من الموانئ التي يرسو عليها الكثير من التقنيات الأسلوبية التي وظفها الشاعر واستخدمها بأسلوب حول النص إلى بنية درامية حينا، وذات بنية خطابية حينا آخر، وفي أحايين كثيرة كانت البنية سردية وصفية حسب.

فعلى سبيل التكرار فقد كان التكرار أكثر ما يكون على سبيل الحرف والكلمة والصيغة، أما على سبيل الحرف فهذا يتجلى في قول الشاعر:

الدهرُ إن سرَّ يومًا لا قوامَ له

يستنزلُ الطيرَ كرهًا من منازلها

ويسلُبُ الآمنَ المغترَّ نعمتَهُ

من يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

إلى المنيةِ والآسادِ في الأَجَمِ

ويُلحِقُ الموتَ بالهيّابةِ البَرَمِ

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلَدَ من عادٍ ومن إرَمِ

فقد كان الحرف الأكثر تكرارا في النص السابق هو حرفَ السين، ونحنُ نعلمُ ما في هذا الحرف من تشديد وبثٍّ للألم عن طريق إخراج صوته المفعم بالتكرار أيضا، فهو صوتٌ تكراري فيه همسٌ وانفجار. إذ يرتبط التكرار الصوتي بالحالة النفسية المعيشة عند الشاعر.

أما من أمثلة تكرار الكلمة، فقد كانت الكلمة الأكثر تكرارا هي كلمة الموت والدهر بكافة اختلافاتها وتبايناتها وهذا ما يتجلى في النص السابق كاملا، يقولُ الشاعرُ:

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

يستنزلُ الطيرَ كرهًا من منازلها

ويسلُبُ الآمنَ المغترَّ نعمتَهُ

من يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

يهوى الخلودَ ، وقد خُطَّت منيَّتُهُ

لا بد أن المنايا سوف تدركه

أين ابن حرب وقومٌ لا أحسهمُ

يجبون ما الصينُ تحويه مقانبُهُم

بادوا وآثارُهم في الأرضِ باقيةٌ

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

إلى المنيةِ والآسادِ في الأَجَمِ

ويُلحِقُ الموتَ بالهيّابةِ البَرَمِ

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلَدَ من عادٍ ومن إرَمِ

ولا مَرَدَّ لأمرٍ خطَّ بالقلمِ

ومن يعمر فلن ينجو من الهَرَمِ

كانوا قريبا علينا من بني الحَكَمِ

إلى الأفاريقِ من فُصحٍ ومن عَجَمِ

تلكم معالمهم في الناس لم تَرِمِ

فألفاظ الموت ومرادفاتها (الدهر / الموت / المنية / الهرم / بادوا) كلها تُعَدُّ من باب التكرار الذي مؤداه الحالة النفسية التي تكتنف الشاعرَ وتدثر نفسيته وتجعلها أكثرَ سوداويةً واحتفالا بالموتِ أكثرَ منها في الحياة.

أما ألفاظ الحياة والتي تكررت عن طريق كلمة (الخلود [مرتين] ، بأخلدَ) فلم تكون موجودة بالزخم الذي وُجِدَت به ألفاظُ الموت، لكن تكرارها كان ذا أثرٍ ملحوظٍ في النص الشعري، مما أدى إلى حدوث تناقض في الرؤية الشعرية مقصود بين حالتين: الحياة والموت.

أما التكرار الصيغة فكذ1لك فقد وُجِدَ في المقطع كاملا ، وأكثر ما كان في تكرار صيغة الفعل المضارع، ففي قول الشاعر:

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

يستنزلُ الطيرَ كرهًا من منازلها

ويسلُبُ الآمنَ المغترَّ نعمتَهُ

مَنْ يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

يهوى الخلودَ ، وقد خُطَّت منيَّتُهُ

لا بد أن المنايا سوف تدركه

أين ابن حرب وقومٌ لا أحسهمُ

يجبون ما الصينُ تحويه مقانبُهُم

بادوا وآثارُهم في الأرضِ باقيةٌ

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

إلى المنيةِ والآسادِ في الأَجَمِ

ويُلحِقُ الموتَ بالهيّابةِ البَرَمِ

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلَدَ من عادٍ ومن إرَمِ

ولا مرَدَّ لأمر خُطَّ بالقلمِ

ومن يعمر فلن ينجو من الهَرَمِ

كانوا قريبا عليّا من بني الحَكَمِ

إلى الأفاريقِ من فُصحٍ ومن عَجَمِ

تلكم معالمهم في الناس لم تَرِمِ

فقد تكرر الفعلُ المضارعُ في النص الشعري (15 مرة) خمس عشرةَ مرة، وهذا التكرار كذلك يؤدي إلى تدوير النص في حالة الاستمرارية والديمومية، فلا يتوقف الفعل والحدث الشعري عند موقف معين بل إنه دائمٌ دوامَ الفعلِ وزمنه.

أما الحوارُ فلم يكن موجودًا بشكلٍ ظاهر بيّن، إذ إنه كان الخطابُ سادرا وبالغا أوجَه في النص الشعري، وقد كانت لغة الوصف والخطاب ممزوجة بشكل طاغٍ مع بنية الحوار فلم تأتِ صيغة الحوار جليةً ، ولكن النص الشعري في أصله ما هو سوى حوارٍ

بين طرفين أو بين ثلاثة أطراف ، وهذا ما سنبينه في الرسم التوضيحية التالي

الحوار

الشاعر

النص الشعري

المتلقي

فالنص ما هو سوى عن حوار كبير بين الشاعر عن طريق نصه ، والنص الشعري حوار مع المتلقي أو القارئ، وهذا ما يكون عادةً في أيةِ بنية شعرية.

أما الالتفاتُ فقد كان مقسومًا على ثلاثة أقسام في النص السابق، وكان على النحو الآتي:

** القسم الأول:

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

يستنزلُ الطيرَ كرهًا من منازلها

ويسلُبُ الآمنَ المغترَّ نعمتَهُ

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

إلى المنيةِ والآسادِ في الأَجَمِ

ويُلحِقُ الموتَ بالهيّابةِ البَرَمِ

فقد كانت لغة الخطاب هنا لغةٌ سرديةٌ محضة تقوم بتقديم الوصف عن طريق تقنية السرد والوصف.

* القسم الثاني:

من يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

يهوى الخلودَ ، وقد خُطَّت منيَّتُهُ

لا بد أن المنايا سوف تدركه

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلدَ من عادٍ ومن إرَمِ

ولا مرَدَّ لأمر خُطَّ بالقلمِ

ومن يعمر فلن ينجو من الهَرَمِ

فقد التفت الشاعر من صيغة السرد الوصفي إلى صيغة الخطاب عن طريق الاستفهام، ومن ثم استخدام صيغ النفي والإثبات، والتي تجعلُ الشاعرَ يقع في ثنائية أيضا في ذلك الالتفات:

*** القسم الثالث:**

أين ابن حرب وقومٌ لا أحسهمُ

يجبون ما الصينُ تحويه مقانبُهُم

بادوا وآثارُهم في الأرضِ باقيةٌ

كانوا قريبا علينا من بني الحَكَمِ

إلى الأفاريقِ من فُصحٍ ومن عَجَمِ

تلكم معالمهم في الناس لم تَرِمِ

التفاتٌ آخر عن طريقِ استفهامٍ آخر، وانتقال إلى صيغة خطابية أخرى، وإلى موضوع إلى آخر فمن موتٍ في المقطع السابق إلى لغة تأنيبٍ ولوم في هذا المقطع، ومن صيغة طغى عليها الموتُ في المقطع السابق، إلى صيغة طغت عليها صبغة تمهد للموت وتذكر بما صار عليها الحال، بعد أن كان الموت، وما هي النتيجة لذاك السبب – الموت:

أما أسلوب التضاد فقد ظهر مثلما قلنا آنفا بين الحياة والموت وذكر الموتِ بمرادفاته وبنياته المختلفة، وذكر الحياة والخلود، إن القصيدة الآنفة الذكر هي ككل تضاد بين حالين: الحياة والموت، ومعظم تلك الأبيات تؤثث لهذا التضاد وترسيخ له.

* البنية البلاغية في النص الشعري

التشبيه والاستعارة والكناية هي من أجلى العناصر البلاغية التي يمكن أن تكون في أي نص شعري موجود، ولا بدّ أنها تكون لوظيفة ما ولغاية ما يريدها الشاعر، أي شاعر، ومن هنا فالنص الشعري لم يكن بذاك الزخم البلاغي المبتغى، ولكننا وجدنا أن الشاعر يغلب بنياتٍ معينةً على حساب الأخرى.

فالتشبيه على سبيل المثال كان استخدامه عند الشاعر عن طريق التوظيف غير المباشر لها وذلك عن عقد مقارنة تشبيهية بين فئتين كان ذلك وتجلى فيما قال الشاعر في الآتي:

من يأمنُ الدهرَ أو يرجو الخلودَ به

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

بعد الذينَ مَضَوا في سالف الأمم

يومًا بأخلَدَ من عادٍ ومن إرَمِ

فهي مقارنة تشبيهية عقدها الشاعر بين فئتين فئة موجودة وفئة بادت، وهؤلاء ليسوا كأولئكَ، في طول الحياة وسرمديتها، فليس الموت سوى آكلٍ كل ما تقع عليه يده من ثمرِ الكون والوجود.

أما الاستعارة فقد ظهرت في أكثر من بيت في النص الشعري، وهذا يتجلى في البيت الأول حين يقول الشاعر:

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

فالدهرُ كالإنسان، لكن حُذفَ أحد طرفي التشبيه، ألا وهو المشبه به، وكذلك فإننا نلحظ أن كلمة الأحداث كذلك الأمر؛ فالأحداث كالوجع الذي يؤلم الرأس ويصيبه بالصداع والألم والوجه.

ومثله قول الشاعر كذلك:

لا بد أن المنايا سوف تدركه

ومن يعمر فلن ينجو من الهَرَمِ

فالمنايا كحيوان مفترس يلحق بالإنسان تريد الانقضاض عليه ونهشه، وهنا تكمن الاستعارة، إذ إنه ذكر أحد طرفي التشبيه وحذف الطرف الآخر (المنايا / الحيوان المفترس) ذكر المنايا وحذف المشبه به، وقد قام الشاعر أيضا بتوظيف الاستعارة في قوله: " فلن ينجو من الهرم " فالهرم كحيوان مفترس أو ما ناظرَ يحاول أن يترصد كالإنسان، لكن الشاعرَ اكتفى بذكر المشبه واستغنى عن ذكر المشبه به لتمام المعنى وتمام وصوله إلى ذهن المتلقي.

أما الكناية فقد تجلت كثيرا في العديد من أبيات القصيدة، وهذا يتجلى في قول الشاعر:

الدهرُ إن سرَّ يوما لا قوامَ له

أحداثُه تصدعُ الراسي من العلمِ

ففي هذا البيت أيضا فوق أنها استعارة، فيها كناية عن صفة، وهي صفة الحزن والنهاية لكل شيء.

وكذلك في قول الشاعر:

ليس امرؤٌ كان في عيشٍ يُسرُّ به

يومًا بأخلَدَ من عادٍ ومن إرَمِ

إن الكناية عن الصفة تتجلى في هذا البيت، وهي كذلك كناية عن حتمية الموت وعدم الخلود، وهذا ما نلحظه في البنية الكلية للنص الشعر المدروس هو أن ديدنه الشكلي والمضموني كله يوحي بالموت والحديث عن النهاية المحتمة على الإنسان.

يقول أيضا:

بادوا وآثارُهم في الأرضِ باقيةٌ

تلكم معالمهم في الناس لم تَرِمِ

هنا أيضا تتجلى الكناية عن صفة الموت والإبادة التي يتحدث عنها الشاعر ويحاول أن يستشعر بها ويُشعرَ بها المتلقي من كافة النواحي وبالعديد من التقنيات واللوازم التي تسعفه في أن يوصل فكرته للمتلقي دون إملال أو إسهاب.

وهكذا فقد قمنا باستقصاء البنى الأسلوبية والبلاغية في النص الشعري، وحاولنا تبيان الأثر الذي تؤديه هذه البنى والتقنيات في النص الشعري، من خلال توزعها المنظم والظاهر وغير

الظاهر للمتلقي. وهي محاولة من الباحث لسبر أغوار النص الشعري، وإحالة المتلقي إلى خضم من التفكير والإمعان في البنية الكلية للقصيدة عن الشاعر الأحوص الأنصاري.

المراجع والمصادر :

1. ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط3، 1978م.
2. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة – مصر، دار الكتب المصرية، ط4، 1999م.
3. الباهلي، عبد الملك قريب: فحولة الشعراء الأصمعي، تحقيق: المستشرق توري، تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، د، ط، 1980م.
4. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د. ط، 1978م.
5. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1415هـ – 1995م.
6. الجعافرة، ماجد: قراءات في الشعر العباسي، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد – الأردن، ط1، 2003 م.
7. جمال، عادل سليمان: شعر الأحوص الأنصاري ، قدم له: شوقي ضيف، مطبعة المدني، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط2، 1990م.
8. الخفاجي، ابن سنان: سر الفصاحة، شرح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة – مصر، د.ط، 1969 م.

9. خليل، السيد أحمد: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د. ط، 1968م.

10. الداية، فايز: جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق – سوريا، ط2، 1996م.

11. ربابعة، موسى: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2001م.